المدنية السياسية

في

القرن العشرين

اما حان خوض المأزق المتلاحم وهل يراع فيه مسم الاراقم
فقد ضج من وقع البلاء وروعه (بنو الشرق) حتى ضاق ذرع المكارم
واصحكهم انطاب الشعوب تعصباً رمونا به من قبل شد التمائم
الم يرهم طارق الطيف بيننا وريع لذكوا مشمخر الدعائم
وثارت اماجيل · وطارت مطاود وذوت جيوش بالقنا والصوارم
ولو عقد انوث الزناء محاجبه وخيم مثل العارض المتراكم
وسدت فجاج الشرق اشلاء اهله وجاش بآذيه الخضم الملاطم
لما انحدرت من مقلة الغرب عبرة ولا ارتفعت في الغرب صيحة لائم
ولا قيل اين السلم؟ والعدل؟ والحجى ولا اين — انجيل المسيح المسالم —
فقد باتت في (مراكش) السيف مصلتاً يراوح ما بين الطلى والجماجم
ودارت رحى الاهوال في ارض (برقة) وذاق (بنو طهران) مر العلاقم
وهبت الى (دار الخلافة) عصبة من القوم والاضغان مل الحيازم
وعاد (فردينند) (١) اقوم (محمد) بأندلس اخرى عداة التصادم
فأين ملوك العرب؟ اين رجاله؟ فتأخذهم للسلم غضبة ناقم
فان كان ضعف المرء ذنباً بشيبه فلا خير في ملك ولا شرع حاكم
وكيف يكون النهي والامر في يد ملونة من مهدها بالجرائم

***

فيا لك من عصر يلوذ بظله ثعالب في زي الليوث الضراغم
يخالب فيه (ذو السياسة) تربه ويرهف العدوان غرب العزائم
ويزعم ان الصدق مل اهابه ويطلب صون السلم من كل هاجم
وما الشر كل الشر الا لأنه يحاول باسم الخير جر العالم

(١) في هذا لفتة الى التاريخ الذي يعيد نفسه لان الذي اخرج العرب من اوربا هو فرديناند والذي يهدد الترك اليوم فرديناند البلغاري

وفي دمن الحرب الحديثة كلهم ملائك لم يعلق بهم وصم واصم
فما انتزعت ارواحهم من تعصب ولا امتلأت احشاؤهم من تخاصم
وفي الارض سيروها بوطئهم فما عرفت من بعدهم غير واصم
وان لطخ منهم خوفهم في صلاتهم وشحت منهم صحبهم بالمآثم
لفرض صيد والموت منية ورائع عيشهم مدمع غير واجم
وذلك ما لم يعلم به القوم ان كنت بهم محة او عن ذي مخاصم
حراسا وهم حول حقيقة امرهم وذاك على الالباب ريب المزاعم
كما يحول الليل دون دياجيا تجلى ويبقى ضوءها غير قاتم

***

وان اسرار الطبيعة لم تزل محجبة في الغيب عن كل عالم
فلا يرى البارود في الناس صوته ويدعو لديهم حكمة غير راحم
ولا تنجر الاربعة عقولهم تموج بانواع الخلوف الدوائم
فتبدي بالجهل القديم وما له دوام في ادنى العصور الروائم
فلا يرى (العلم الحديث) من القوى هوانا أتت الا ركوب العظائم
فما عرفوا العلم الا سلاحهم وبالعلم ان يلم معول هادم
يصب في البلدان صوب عذابه ويقصف فيها كل حائط وقائم
ويخطف الارواح في كل ذرة فتام بها الاعراس بين المآتم

***

يقولون هذا القرن شرخ شبابه فكانت ربيع الدهر جم المواسم
وحسبك (بالعشرين) طيشاً وخفة تجر الى الانسان كل المآثم

***

فيارب قد كانت (لآدم) وحده جنايات ما من كلفة او مزاحم
يروح ويغدو في النعيم منعماً بجنتك معموراً بفيض المراحم
فما هي الا هفوة منه مرة فاصبح ذاك الجد امثال حالم
فحل به من بعد هذا البلاء وقد منعتنا الحمى سفر المحارم
ونالت بلايا العالمين ذرية وما منعوا عن اكله من نادم
فقد مرت الازمان تمحو ما له ليمحو عنا وصمة تلك المآثم

أجل !! انت عدل !! انك آلة (الدهر) | (وسائل) في طي الدهر السالم
وقد باد ملك الروم الا رسومه | وكم قبل ملك الروم عبر مقاوم
وكم شحذ اليونان رأياً مسدداً | فطاش بهم عند الخطوب الدواهم
وذلك ما زاد التفجع والاسى | وعلمنا كيف اختيار المسالم

***

فيا دولاً ذلت القضاة لامرها | فسادت صروح الملك فوق الجماجم
وكانوا كثبان الرمال عديدها | وقامت باعباء الامور الجسائم
رويداً فان الدهر مازال صرفه | يدور — وان الملك ليس بدائم

***

ويا رمز الفن بكل تنوفة | ويا لهب النيران بين العواصم
ويا دارس الاطلال في كل دمنة | ويا ماثل الآثار بين المعالم
ويا موج (بحر الروم) في كل ساحل | ويا خافقات الريح بين العوالم
ففي حدق التاريخ عن مدنية | يشار لذكراها الوحش ابناء آدم

الديار المصرية — فؤاد الخطيب